سهرة كوميدية
مع الحكومة النهرية

« **قالوا إنها أقدم حكومة فى التاريخ . . وقالوا إنها حتمية وضرورية فى المجتمعات النهرية** » .

ونقول - وجعل الله كلامنا خفيفاً على قلبها - إنها سواء أكانت قديمة أم جديدة ، سواء أكانت ضرورية أم زائدة على الحاجة ، فهى فى كل الأحوال شر لابد منه . . ولما كان كل شر فيه جانب من الخير . . فقد يكون من الخير أن نسهر معها فى حذر . . . وأن ننقدها فى مداعبة . . وأن نضحك معها بعد استئذانها . . والله هو المنجى !

بهذه الكلمات الضاحكة والمضحكة ، التى لاتخلو فى ضحكها من خفة الدم ، ولا تعدم فى إضحاكها روح الفكاهة ، استهل الكاتب المسرحى « **سعد الدين وهبة** » مسرحيته الجديدة أو بالأحرى ثلاثيته المسرحية الجديدة ، التى سماها ، (**سهرة مع الحكومة**) . . والتى يعود بها هذا الكاتب إلى بيته الحبيب . . المسرح ، بعد انشغاله الطويل بعمله فى الحكومة . .

والواقع أن جمهور المسرح ونقاده - مهما دارت بهم الأيام ، وطالت بهم الأعوام - فلن ينسى رحلة « **سعد الدين وهبه** » عبر التأليف الإبداعى فى المسرح ،

ولا تزال فى الآذان كلمات مدوية من ثلاثيته الريفية . . (**المحروسة** ، **والسبنسة** ، **وكوبرى الناموس**) ، كما لا تزال فى العيون مشاهد دامعة من مسرحياته الثلاث (**سكة السلامة** ، **وبير السلم** ، **وسيع سواق**) التى تشكل فيما بينها ، وعلى الوجه الآخر من قوس الطيف المسرحى ، ما يمكن تسميته بثلاثيته المدنية ، ومالى أنسى مسرحيته التاريخية المعروفة . . (**يا سلام سلم** . . **الحيطة بتتكلم**) . . التى حقق بها هذا الكاتب نجاحاً فنيًّا ممتازاً ومتميزاً . .

وأخيرًا يعود « **سعد الدين وهبه** » إلى بيته المسرحى ، وكأنما آثر ألا يعود إلا بالجديد شكلا ومضموناً ، أما الجديد فى الشكل ، فهو قالب المسرحية القصيرة أو المسرحية ذات الفصل الواحد ، وهو القالب الذى يفتقر إليه حصادنا المسرحى ، والذى لا تحاوله الكثرة من كتاب المسرح . والاستثناء هنا بطبيعة الحال هو عميد أدبنا المسرحى « توفيق الحكيم » ، الذى كتب العديد من المسرحيات القصيرة ، ومن بعده « **نجيب محفوظ** » فى حواراته المسرحية أو محاوراته فوق المسرح ، ومن بعدهما « **ميخائيل رومان** ، **ومحمود دياب** ، **وشوقى عبد الحكيم** » .

« **وسعد الدين وهبه** » إذ يعود بشكل المسرحية القصيرة ، أو المسرحية ذات الفصل الواحد ، إنما يكشف عن قدرته على التحكم فى هذا الشكل ، ومقدرته على صياغة هذا القالب . بما لا يقل عن قدرته ومقدرته جميعاً فى كتابة المسرحية الطويلة أو المسرحية كاملة الطول . ولا غرابة فى هذا إذا تذكرنا أنه كان أصلا واحداً من كتاب القصة القصيرة .

وأما الجديد فى المضمون : فهو الجو الحكومى أو الطقس المصلحى الذى استقى منه مضامين هذه السهرة الحكومية ، والذى عاشه « **سعد الدين وهبه** » وعايشه ، خلال تمرسه الطويل بالعمل فى « **وزارة الثقافة والإعلام** » ، فضلا عن أقسام

الشرطة ، ووقوفه على أوجه القصور والتقصير فى هذه الأجهزة الحكومية ، المحكومة والحاكمة فى نفس الوقت .

ومن هنا كانت عبارة « **سعد الدين وهبه** » التى استهل بها عمله المسرحى الجديد . . « ولما كان كل شر فيه جانب من الخير . . فقد يكون من الخير أن نسهر معها فى حذر . . وأن ننقدها فى مداعبة ! » .

فالسهرة مع الحكومة فى حذر ، ونقدها فى مداعبة ، والضحك معها بعد الاستئذان . هذا هو المناخ الذى أشاعه الكاتب فى أرجاء هذه الثلاثية المسرحية ، وإن كان هذا كله ، وعلى حد تعبير المخرج « **عبد الغفار عودة** » . « **من أجل هدف خير ، ألا وهو إعادة بناء الإنسان المصرى !** » .

فما الذى تخرج به من هذه السهرة الثلاثية مع الأجهزة الحكومية ؟!

الفصل الأول أو المسرحية القصيرة الأولى عنوانها (**بابا زعيم سياسى**) ، يقع حدثها الرئيسى فيما قبل الثورة ، وبالتحديد فى عام ١٩٤٤ حيث كانت الفوضى السياسية تعم البلاد ، حكومة تستقيل وحكومة تقال ، والمظاهرات فى الشوارع ، والمنشورات فى المصالح ، والقنابل فى الأقسام ، والفوضى فى كل مكان . وتقع حادثة طارئة فى أحد أقسام الشرطة ، عندما يشتبه الأومباشى « مبروك » فى أحد المارة ، فيضعه فى السيارة العائدة من المحكمة إلى القسم ، ويضيفه إلى المحبوسين الثمانية بعد أن يعامله على أنه محبوس حبساً احتياطيًّا .

وعبثا يحاول الأستاذ عبد المهيمن أن يعرف تهمته ، وعبثاً يحاول الضابط أن يعرف عنه شيئاً ، عنوانه أو وظيفته أو ما الذى جاء به الى القسم ! ! وبعد أن يكتشف الضابط سوء تصرف الأومباشى « مبروك » ، يطلق سراح المتهم ، ولكن المخبر « شعبان » يكون قد عاد لتوه ومعه حقيبة مملوءة بالمنشورات المعادية للحكومة ،

بعد أن فشل فى الإمساك بالشاب الذى كان يقوم بتوزيع هذه المنشورات ، وتعلم وزارة الداخلية بخبر هذه المنشورات ، فتأمر الضابط بإرسال الحقيبة والمتهم إلى ديوان عام الوزارة .

ويحار الضابط فى أمره ، كيف يرسل الحقيبة بدون متهم ؟ إن هذا يعنى إما رفده من الوظيفة أو نقله إلى أسوان . . ولا يجد الضابط أمامه سوى هذا المحبوس على سبيل الخطأ ، والذى كان قد أمر بالإفراج عنه منذ قليل ولم يكن قد غادر بعد قسم الشرطة . وبعد أن يفتح معه محضراً قصيراً يلفق له فيه التهمة ، يرسله إلى الوزارة ، التى ترسله إلى النيابة ، التى تأمر بتقديمه للمحاكمة ، وفى قسم الشرطة من جديد . انتظاراً لتقديمه إلى المحاكمة ، يلقى بالأستاذ عبد المهيمن ، فى الوقت الذى يكاد الضابط والأومباشى والمخبر جميعاً يطيرون فيه فرحاً ، انتظاراً للترقية والمكافأة بعد أن تمكنوا من الإمساك بهذا المهيج السياسى الخطير .

وتحدث المفاجأة عندما تسقط الحكومة أمام هياج الجماهير ، وتحل محلها حكومة حزبية جديدة ، يكون من أولى مهامها الإفراج عن المعتقلين السياسيين ، الذين ناضلوا من أجل مجىء هذه الحكومة ، ويتوجه ممثل لجنة الشباب إلى قسم الشرطة ، ليتولى بنفسه الإفراج عن « الأستاذ عبد المهيمن » وإبلاغه قرار الحزب بتوليه منصبا سياسيًّا وقياديًّا هاماً ، وهكذا خرج الأستاذ عبد المهيمن من قسم الشرطة زعيما سياسيًّا محمولاً على الأعناق .

وكان هذا هو ما جاء فى مذكراته التى أوصى ابنه « شريف » ألا يفتحها إلا بعد مرور عشرين عاماً على وفاته ، لكى يعرف الابن كيف صار الأب زعيماً سياسيًّا ! .

والمسرحية كما هو واضح من حدثها الرئيسى محكمة البناء ، ذكية الحوار ، فيها

الدعابة النقدية الساخرة وفيها الضحكة المريرة القاسية ، وفيها بعد هذا كله براعة « **سعد الدين وهبه** » فى تصوير أقسام الشرطة ، وما يجرى داخل هذه الأقسام من علاقات كاريكاتيرية بين المخبرين والعساكر والضباط ، وبينهم وبين المحبوسين .

ولقد عرف المخرج « **عبد الغفار عودة** » كيف يجسد هذا كله ، من خلال الالتزام بالنص دونما خروج عليه ، فالكوميديا نابعة من جوف الموقف ، والفكاهة خارجة من داخل المضمون ، والشخصيات بلسان حالها قادرة على إبلاغ هدف الكاتب .

وكان المخرج بالغ التوفيق فى اختيار « **رشدى المهدى** » لدور « الأستاذ عبد المهيمن » ، حيث عرف هذا الفنان كيف يجسد أبعاد الدور ، وكيف يحافظ على الخيط الرفيع بين الفكاهية والكاريكاتيرية ، وكيف يتحرك بأطراف جسده ويعبر بقسمات وجهه ، بحيث يتطابق هذا كله على ما يقوله من كلام ، وما يصدر عنه من صمت ، كذلك كان « **أشرف عبد الغفور** » ملائماً تماماً لدور ضابط الشرطة ، متموجاً مع الدور هبوطاً وصعوداً ، معبراً عن عنصر المفاجأة كأروع ما يكون التعبير ، كذلك كان « **مرسى الخطاب** » فى دور المخبر « شعبان » كتلة جسدية متحركة ومعبرة ، وقادرة على تجسيد النموذج التقليدى لشخصية المخبر .

أما ديكور « **زوسر مرزوق** » بكل ما فيه من شفافية وشاعرية ، فضلا عما فيه من رشاقة الخطوط وجماليات اللون ، فلم يكن ملائماً تماماً للتعبير عن أقسام الشرطة ، وخاصة فيما قبل الثورة ، فهو ديكور لا يمت بصلة للواقعية النقدية التى التزمها الكاتب والمخرج وفريق الممثلين !

ويجىء الفصل الثانى فى هذه الثلاثية المسرحية بعنوان « **زنوبة محمدين** » لينقلنا المؤلف إلى مكاتب وزارة الثقافة ، وبالذات مكتب « الأستاذ مجدى » مدير العلاقات العامة بالوزارة ، ويبدأ الحدث بنشر أحد الصحفيين الفنيين المخضرمين ،

لنبأ مرض الفنانة المسرحية القديمة « زنوبة محمدين » ، ومدى ما تحتاج إليه من مساعدة تعينها على مرضها ، ووحدتها ، وحياتها البائسة فى إحدى الغرف بأحد الأحياء الشعبية ، وتنقلب الوزارة رأساً على عقب ، فالوزير يتصل بوكيل الوزارة الذى يتصل بدوره بمدير العلاقات العامة ، ليبلغه قرار الوزير بصرف معونة فورية قيمتها مائة جنيه للفنانة المذكورة ، واتخاذ إجراءات سفرها إلى لندن للعلاج على نفقة الدولة !

ويسقط فى يد مدير العلاقات العامة ، فلا هو يعرف شيئاً عن « **زنوبة محمدين** » هذه ، ولا يدرى أين تسكن أو أين تقيم ، ويتصل بعميد المسرح العربى « **يوسف وهبى** » فيحكى له عن ماضيها العريق ومجدها الغابر فى « **فرقة رمسيس** » ولكن الفنان العميد لا يدرى عن حياتها الحاضرة أى شىء ، فلا يجد أمامه سوى الاتصال برئيس مباحث قسم الأزبكية الذى يدله على عنوانها . ويفاجأ فى مكتبه بالمعلمة « زنوبة محمدين » تاجرة المخدرات ، دون أن يتعرف على حقيقتها ، وبعد أن يتخذ مساعداه « سمير ، وعزيز » إجراءات سفر زنوبة محمدين » للعلاج فى لندن ، يفاجأ للمرة الثانية بامرأة عجوز تدخل مكتبه حاملة الجريدة التى نشرت قرار السيد الوزير ، بمنحها معونة قيمتها مائة جنيه ، وبسفرها إلى الخارج للعلاج على نفقة الدولة ، ولا يكاد يصدقها حتى تندمج فى أداء دورها الشهير فى فرقة رمسيس أمام « **يوسف وهبى** » .

ويبدأ يشك فى الموقف كله ، ولكنه يتغلب على الشك بطرد هذه السيدة من مكتبه ، وكتمان الخبر ، ولكن المفاجأة الثالثة تحدث عندما تموت « المعلمة زنوبة » فى لندن ، ويصبح على وزارة الثقافة أن تعيد جثمانها إلى القاهرة ، وأن تقيم لها جنازة مهيبة تليق بماضيها العريق . وتحدث المفاجأة الرابعة عندما يدخل رئيس

المباحث ليخبر السيد مدير العلاقات العامة بأن « زنوبة محمدين » هذه التى سافرت على نفقة الوزارة هى أكبر تاجرة مخدرات ، وأن عليها حكماً مع إيقاف التنفيذ ، وتكون المفاجأة الأخيرة عندما يعلم أن الفنانة « زنوبة » مشت فى جنازة فى المعلمة زنوبة » ، صارخة مولولة ، تحاول أن تكشف للجماهير عن شخصيتها الحقيقية ، ولكن الجماهير عاملتها كالمجنونة ، وانتهى بها الأمر إلى مستشفى الأمراض العقلية .

والمسرحية كما هو واضح من حدثها الرئيسى ، ومما ترتب عليه من مفاجآت كوميدية . تكشف هى الأخرى عن ذكاء الكاتب « **سعد الدين وهبه** » ، وعن قدرته فى إدارة الحوار ، وهو الحوار المملوء بالتهكم والسخرية ، المعبر عن الموقف الكوميدى الحافل بالمفارقة المريرة ، وقد تكون المفارقة كاريكاتيرية أكثر منه واقعية . ولكن الكاتب عرف كيف يحافظ على عنصر الإيهام الفنى ، الذى يؤدى إلى الإقناع المطلوب .

وكان توفيق المخرج « **عبد الغفار عودة** » هنا معادلا لتوفيقه هناك ، سواء من حيث القدرة على تفجير الكوميديا من جوف الموقف أو من باطن الشخصيات ، فضلا عن سرعة الإيقاع ، وعن المهارة فى رسم الحركة المسرحية ، وعن الاختيار الملائم لمجموعة الممثلين الذين تباروا فى تجسيد هذه المسرحية ، وفى مقدمتهم الفنان « **محمود الحديني** » الذى قام بدور « الأستاذ مجدى » ، فكشف عن موهبة فى الأداء الكوميدى ، لا تقل عن موهبته فى الأداء التراجيدى . وكان بحق مركز الإشعاع الكوميدى النظيف فى الفصل الثانى كله ، على العكس من الممثل « **عبد المحسن سليم** » الذى كان يفتعل الأداء الكوميدى ويتصنعه ، ويبدو أنه لم يكن هو الملائم تماماً لهذا الدور ، أما « **أشرف عبد الغفور** » فكان موفقاً فى حدود دوره ، دور رئيس المباحث ، كذلك وفقت الممثلة الناشئة « نهير أمين » فى دور « زنوبة » ، وعرفت

كيف تملأ فراغ هذا الدور ، وتفجر أبعاده ، لولا ما يشوبها من المبالغة فى الأداء ، أما « **فتحية طنطاوى** » فلم تكن هى الملائمة تماماً لدور « **سامية الصحفية** » ، كانت بالفعل خارج الدور .

وبمقدار ما أخفق الفنان « **زوسر مرزوق** » فى ديكور الفصل الأول ، كان موفقاً فى ديكور هذا الفصل ، صحيح أن التصميم المعمارى هو هو ، ولكن جماليات الديكور التى لم تكن فى خدمة مكتب ضابط قسم الشرطة ، يمكن أن تكون فى خدمة مكتب مدير العلاقات العامة بوزارة الثقافة . وإن كنت لا أجد مبرراً لوضع التماثيل المصرية القديمة فوق الأرض ، وفى زوايا غرفة المكتب ، إن التماثيل توضع عادة فى الأعلى ، وفى المكان البارز حتى يراها الجميع .

أما المسرحية الثالثة والأخيرة فبعنوان « **وظيفة واحدة تكفى** » وهى تنطلق من القانون الذى صدر بعدم الجمع بين وظيفتين بهدف إتاحة الفرصة أمام الكل لشغل الوظائف الحكومية ، ولكن القانون سرعان ما يتحايل عليه الأقوياء لكى لا ينطبق إلا على الضعفاء فحسب ، فها هو « الأستاذ شوكت المهندس » الذى يشغل أكثر من وظيفة ، وبالتحديد سبع وظائف ، يعرف كيف يتحايل على القانون ، وكذلك (الأستاذ) « عصام » الطبيب الذى يشغل ثلاث وظائف ، يعرف هو الآخر كيف يتحايل على القانون ، أما « عبد المولى » عامل السويتش الغلبان الذى يعمل بعد عمله فى المحافظة فى إحدى دور السينما ، فهو الذى يقع تحت طائلة القانون ، بل أكثر من هذا تفصله المحافظة من وظيفته فى الوقت الذى تنقله مؤسسة السينما من وظيفته ، فلا تكون له أية وظيفة على الإطلاق . وعبثاً تحاول « زوجته حميدة » أن تستعطف المحقق ، وتشرح له مدى الفقر الذى تعيش فيه هى وزوجها وأولادها ،

ولكن القانون هو القانون ، وأخيراً لا **عملك** « عبد المولى » إلا أن يهتف وهو فى شبه ذهول : « **نموت ويحيا القانون** » .

والمسرحية الأخيرة أو الفصل الأخير فى هذه الثلاثية المسرحية ، هو أروعها على الإطلاق ، سواء من حيث الحبكة المسرحية ، أو الحوار الكوميدى ، أو البراعة فى رسم الشخصيات، فضلاً عن المضمون الإنسانى فى سخرية ، الفكاهى فى مرارة الذى برع الفنان الكبير « **شفيق نور الدين** » فى تجسيده فوق المسرح ، من خلال أدائه الطبيعى الذى هو مثال رائع لما يسمى بالأداء السهل الممتنع ، إنه ومضة من ومضات ذلك الفنان العملاق ، الذى طالما أثرى حياتنا المسرحية .

كذلك وفقت « **فتحية طنطاوى** » فى أداء دور « حميدة » . الذى جسدته بوعى وبراعة ، وعرفت من خلاله كيف تفجر طاقتها التمثيلية فوق المسرح .

وبمقدار ما برع المخرج « **عبد الغفار عودة** » فى الفصلين الأولين ، كذلك برع فى هذا الفصل الأخير ، وإن كنت لا أجد مبرراً عضويًّا للربط بين الفصول الثلاثة من خلال عامل السويتش ، ألم يكن ذلك الربط ربطاً سطحيًّا ومن الخارج ، دون أن تكون له وظيفة عضوية فى مضمون العمل المسرحى .

كذلك لم يكن الربط الموسيقى بين الفصول الثلاثة من خلال الأداء الحزين لنشيد « **بلادى بلادى** » مبرراً بما فيه الكفاية ، وخاصة فى هذا الجو الكوميدى ، ألم تكن المسرحية بفصولها الثلاثة تحتاج إلى موسيقى تعبيرية منبعثة من داخل العمل بدلا من أن تكون مقحمة عليه من الخارج – فضلا عن تكرار استخدام هذه الموتيفة الموسيقية بالذات فى أكثر من عمل مسرحى .

عموماً كانت سهرة ممتعة مع الحكومة ، أو بالأحرى مع فنانى حكومة المسرح القومى ! !